

مقدمة

فن وعلم الصحافة من العلوم المهمة التي تفيد أي مجتمع وتعمل على إثرائه فكرياً وثقافياً كما تساعد على نهضته وتقدمه فبالنقد والتوجيه والإرشاد يأتي الإصلاح، ويمكننا تعريف الصحافة بأنها مرآة المجتمع تمكس واقعه وتحمل مشاكله وأحلامه ورؤاه تنقلها إلى النخبة الحاكمة وتعود بالرد إلى الشعب وكما أنها صوت الشعب فهي في بعض الأحيان تكون صوت الحاكم إلى الشعب. وبدون صحافة حقيقية حرة يستطيع الظالم أن يتمادى في ظلمه لأن لا أحد يراه. أو يفضح مخططاته ونواياه ويستطيع الحكام عدم الاهتمام بالشعب فلا أحد يبلغ صوت الشعب لهم. إذن الصحافة هي النور الذي يرى به عامة الشعب وهي انعكاس لحالة المجتمع إذا كان المجتمع يسوده جو من الديمقراطية فإن الصحافة آنذاك تكون صحافة حرة طليقة ونحن نشد الحرية والديمقراطية الحقيقية ونتمنى من الدولة المزيد من المواقف التي تدعم حرية الصحافة، ففي تقرير دولي عن الحريات وحرية الرأي في الوطن العربي لم تظهر دولة عربية واحدة في الترتيب الأول وجاءت أربع دول في الترتيب الثاني ثم جاءت باقي الدول في الترتيب الثالث فالحرية التي تتم بها الصحف نسبية ومحكومة وهناك انتهاكات صارخة لحرية الصحافة، وهناك تقييد لحرية إصدار الصحف في الوطن العربي. أيضاً الصحافة هي المعرفة والخبر والتحقيق والرأي تعمل على إثراء الفكر والثقافة بمختلف فروعها فنية واجتماعية وأدبية وسياسية وتاريخية وفلسفية.

وعلم الصحافة علم أوروبي بدأ منذ قام الألماني جوتبرج، يوهان باختراع المطبعة في عام ١٤٣٦، وقد عرفت مصر فن الصحافة مع قدوم الحملة الفرنسية عليها حيث جاء نابليون يحمل مع مدفعه المطبعة ليخاطب عن طريقها الشعب المصري ويحاول استمالته فأصدر صحيفة باللغة الفرنسية سنة ١٧٩٨ وعندما رحل الفرنسيون بسبب المقاومة المصرية الباسلة جاء محمد علي وأصدر أول صحيفة رسمية هي «الوقائع المصرية» سنة ١٨٢٨. ثم صدرت أول صحيفة شعبية هي صحيفة «وادي النيل» عام ١٨٦٧ ثم طلع فجر القرن العشرين وفي مصر والإسكندرية عدد لا بأس به من الصحف وصل عددها من عام ١٨٧٢ حتى عام ١٨٩٢ حوالي ٨٦ صحيفة منها «نزهة الأفكار» ١٨٦٩ و«روضة الأقطار» سنة ١٨٧٥ و«الوطن» سنة ١٨٧٦ و«جريدة مصر» سنة ١٨٧٦ و«العصر الجديد» سنة ١٨٨٠ و«اللوائف» سنة ١٨٨٢ و«الأهرام» سنة ١٨٨٥ و«المزيد» سنة ١٨٨٩ وصدر أول تشريع للمطبوعات في مصر في أثناء الحملة

الفرنسية الذي أصدره الجنرال بونابرت بتاريخ ١٤ يناير ١٧٩٩ وفي ١٣ يوليو سنة ١٨٢٣ أصدر محمد على والى مصر أمراً يحرم طبع أى كتاب إلا بإذن الباشا وعندما تولى سعيد باشا الحكم أصدر تشريعين لتنظيم المطبوعات أولهما كان ينص على فرض الرقابة الواقية على المطبوعات وعدم جواز نشر الصحف دون الحصول على رخصة من ديوان الداخلية ونص الثانى على منع صحف الأجانب فى مصر من نشر أى نقد لأعمال الحكومة، وفى ١١ ديسمبر سنة ١٨٧٠ صدر القانون المايونى الذى اعترف بحرية المطبوعات فى الدولة العثمانية وسائر ولاياتها، وفى أكتوبر سنة ١٨٦٦ تأسس قلم الصحافة والمطبوعات فى مصر وألحق بنظارة الخارجية، وفى ١٣ ديسمبر ١٨٧٨ تقرر أن تكون الصحف تابعة لوزارة الداخلية مرة أخرى. وفى ٢٦ نوفمبر ١٨٨١ صدر قانون المطبوعات والصحافة الذى يعتبر بحق أول تشريع يصدر للصحافة فى مصر وكان من عيوب هذا القانون تقييد حرية النشر حيث أعطى للسلطان الإدارية حق تعطيل الصحف بدعوى المحافظة على النظام العام أو الدين أو الآداب، وفى ٢٧ فبراير سنة ١٩٢٦ صدر مرسوم بقانون رقم ٢٠ لسنة ١٩٢٦ بشأن المطبوعات والمطابع فى مصر وفى ٢٤ مايو سنة ١٩٦٠ صدر القانون رقم ١٥٦ لسنة ١٩٦٠ بتنظيم الصحافة وجعلها تابعة للاتحاد القومى ثم سنة ١٩٧٥ صدر قرار الاتحاد الاشتراكى العربى بإنشاء المجلس الأعلى للصحافة وتحديد اختصاصاته، وفى سنة ١٩٨٠ صدر قانون رقم ١٤٨ الذى ينص على أن الصحافة المصرية سلطة شعبية مستقلة تمارس رسالتها بحرية فى خدمة المجتمع ثم جاءنا قانون ٩٢ لسنة ١٩٩٦ الذى كان يهدف إلى تقييد حرية الصحافة، وقد وقف جموع الصحفيين وعلى رأسهم الأستاذ إبراهيم نافع نقيب الصحفيين ضد هذا القانون وكان لهم الفضل فى إغائه وصدور القانون الحالى الذى يعطى الصحافة والكلمة قدراً كبيراً من الحرية والديمقراطية. تلك كانت بداية نشأت الصحافة وقوانينها دون الدخول فى تفاصيل. أما العمل فى بلاط صاحبة الجلالة فيتطلب الالتزام بالأمانة فى الكلمة والصدق فى القول والدقة فى النقد والحفاظ على القيم الروحية للشعب التى هى أساس تراثه الحضارى والفكرى والقوة الدافعة لتضالته، وأن يعمل كل صحفى على أن يكون رائد البناء والتقويم والتوجيه والإرشاد لا الهدم والتشهير والافتراء والتشويه وكل روادنا فى هذا الكتاب توفرت لديهم هذه الصفات كما دانت لهم المعلومات بسهولة لقريهم من مصادرها وصلتهم الوثيقة بنظام الحكم فكانوا صوت الشعب إلى الحاكم أكثر من كونهم صوت الحاكم إلى الشعب فتبينوا قضايا الفقراء والشعب وعاشوا على مبادئ الأخلاق الصحفية التى تهدف إلى إصلاح كل ما هو ممكن وتعديل ما يلزم تعديله. آمن هؤلاء العمالقة أن رسالة القلم تعتبر من أقدس الرسالات وقد أراد الله سبحانه

وتعالى أن يؤصل قدسية القلم فأقسم في أول سورة القلم حيث قال تعالى: ﴿ تَوَالِقَلْمٌ وَمَا يُسْطَرُّونَ ﴾ . فالقلم له قدسيته والكلمة المكتوبة أقوى وسائل نقل الأفكار والأحداث والصحافة هي السجل التاريخي لحياة الأمم. إن كل رائد ونجم من نجوم كتابنا هذا قد أثرى العالم الصحفي في مصر والوطن العربي وساهم بشكل قوى وفعال في نهضة الصحافة والدفاع عن قضايا الشعب فهم يعق نجوم صنعت الصحافة المصرية.

وفي كتابنا هذا الذى بين يديك أيها القارئ حرصنا على أن نذكر المدارس الصحفية لهؤلاء وأسلوبهم كما اخترنا نماذج من مقالاتهم المهمة التى كان لها صدى كبير فور صدورهما ونشرها، وهى تعدُّ مرجعاً مهماً فى القضايا التى تناولوها فى هذه المقالات، بالإضافة إلى أننا نذكر القارئ بأسلوبهم وطريقة تناولهم للقضايا، وقد رأينا أن نبدأ بتسلسل زمنى فكان الشيخ على يوسف صاحب مدرسة جريدة المؤيد وأول صحفى يصدر جريدة مصرية خالصة. ثم جاء بعد ذلك الصحفى والخطيب المفوّه توفيق دياب صاحب مدرسة الصحافة الحزبية التى ظهرت على صفحات جريدة الجهاد وكان أول صحفى برلمانى وأول عربى يدرس الخطابة فى لندن. ثم جاء الأستاذ والكاتب الكبير فكرى أباطة صاحب مدرسة المقال الجرىء والاستجاب الصعب، ثم محمد التابعى أمير الصحافة المصرية وصاحب مدرسة آخر ساعة، ثم السيدة روز اليوسف صاحبة أكبر مجلة فنية وهى «روز اليوسف»، ثم جاء الأستاذ مصطفى أمين وشقيقه على أمين ليضيفا للصحافة المصرية صحافة جديدة تتميز باللمسة الإنسانية والصحافة الخبرية فى أخبار اليوم، ثم هيكى الجورنالجي والسياسى الكبير الذى جدد شباب الأهرام لتستمر كمدرسة لها أسلوبها الخاص التى لم تحد عنه يوماً منذ نشأتها وحتى الآن، ثم جاء الختام مع الكاتب الكبير أحمد بهاء الدين صاحب الفكر الاشتراكى الذى أدخل الصحافة الشابة من خلال مدرسة صباح الخير.

إن كل هؤلاء النجوم تحملوا فى سبيل إعلاء كلمة الحق والحرية والدفاع عن آراءهم الكثير من المتاعب والمشاق وبعضهم تعرض للسجن سنوات فى سبيل ذلك حتى استحقوا أن يكونوا مدارس نتعلم منها وقدوة لشباب الصحفيين. إنهم أثروا بحق بلاط صاحبة الجلالة وتركوا لنا قلاعهم الصحفية تير لنا الطريق حتى الآن.

والله الموفق...

جمعة أبو النيل